السنة الخامسة من النبوة

فيها أَمَر النبي ﷺ أَصْحابَه بالهجرة إلى الحبشة لمَّا اشتد بهم أذى الكفار.

ذكر الهجرة الأولى[١]:

قال الزهري: لما ظهر الإسلام وكثر المسلمون، ثار جماعة من الكفار إلى من آمن من قبائلهم وعشائرهم، فعذبوهم وسجنوهم، وأرادوا أن يفتنوهم عن دينهم. فقال لهم رسول الله ﷺ: تفرقوا في الأرض. فقالوا: إلى أين؟ فأشار إلى الحبشة بيده، وقال: إن بها رَجُلاً لا تُظْلَمُ الناس عنده، فتَحرَّزُوا عنده حتى يأتي الله بالفرج. فخرجوا متفرقين، وستر قومٌ إسلامَهم، وكانت الحبشة متجَرَ قريش، فخرج منهم اثنا عشر رجلاً وأربع نسوة متسللين سراً من قريش، وكان مخرجهم في رجب، منهم الماشي والراكب، فوافقوا سفينتين للتجارة في الشُّعَيبة[٢]، فركبوا فيها، وخرجت قريش في آثارهم ففاتوهم.

ذكر أساميهم[٣]:

حاطب بن عمرو بن عبد شمس، الزبير بن العوام رضي الله عنه، سهيل بن بيضاء، عامر بن ربيعة ومعه امرأته بنت أبي حَثْمَة، عبد الله بن مسعود، أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومي، ومعه امرأته أم سلمة رضي الله عنها، عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، وقيل: إنه لم يهاجر الأولى، وعثمان رضي الله عنه، ومعه زوجته رقيَّة رضي الله عنها بنت رسول الله ﷺ، عثمان بن

(١) الخبر في «الطبقات الكبرى» ١/ ١٧٢ ، وانظر «السيرة» لابن هشام ١/ ٢٨٠ ، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٣٢٩، و«دلائل النبوة» للبيهقي ٢/ ٢٨٥ ، و«المنتظم» ٢/ ٣٧٤ ، و«الكامل» ٢/ ٧٦ ، و«السيرة» للذهبي ١/ ١٤٦، و«البداية والنهاية» ٣/ ٤٦ ، و«سبل الهدى والرشاد» ٢/ ٤٨٥ .

(٢) في (ك): «الشعشة» وفي (خ): «ألشعشعة» والمثبت من «طبقات» ابن سعد ٣/ ١٧٣ ، و«سبل الهدى» ٢/ ٤٨٦ .

(٣) انظر «السيرة لابن هشام» ١/ ٢٨٠-٢٨٦ ، و«الطبقات الكبرى» ١/ ١٧٣-١٧٤ ، و«المنتظم» ٢/ ٣٧٥، وانظر تتمة أسمائهم هناك.

مَظْعون، مصعب بن عمير، أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة، ولد له بالحبشة محمد بن أبي حذيفة من امرأته سهلة بنت سُهيل بن عمرو، أبو سَبْرة بن أبي رُهْم. فأقاموا في الحبشة شهر شعبان ورمضان، ورجعوا في شوال.

ذكر سبب رجوعهم

قال المطلب بن عبد الله: رأى رسول الله ﷺ من قومه كفافة، فجلس خالياً وتمنى أن لا يُنَزَّلَ عليه شيء ينفرهم عنه، وقارب قومه ودنا منهم، ودنوا منه، فجلس يوماً في بعض أنديتهم، فنزلت سورة النجم، فقرأها حتى بلغ ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٩-٢٠]؛ ألقى الشيطان على لسانه ما كان يحدِّث به نفسه ويتمناه من مقاربة أهله وقومه، لأنه كان قد شق عليه مباعدتهم إياه، فتمنى أن ينزل عليه ما يقارب بينه وبينهم حرصاً منه على إيمانهم، فقال: تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى. فلما سمعت قريش ذلك فَرِحوا، ومضى في قراءة السورة كلها، وسجد وسجد معه المسلمون والمشركون، فلم يبق في المسجد إلا من سجد لسجوده إلا الوليد بن المغيرة وأبو أُحَيْحَةَ سعيد بن العاص فإنهما أخذا حَفْنَةً من الحصباء فرفعاها إلى جبينهما وسجدا عليه، وكانا شيخين كبيرين لا يستطيعان السجود، وتفرقت قريش، وقد سرهم ذلك، وقالوا: ذكر محمد آلهتنا بخير، فأحسن الثناء عليها، وقد علمنا أن الله يحيي ويميت، ويخلق ويرزق، ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده، فإذ قد جعل لها محمد نصيباً، فنحن معه. فلما أمسى رسول الله ﷺ، جاءه جبريل عليه السلام فلما بلغ إلى قوله: تلك الغرانيق العلى، قال: ما أتيتك بهاتين الكلمتين ـ وفي قول ابن إسحاق: قال: لقد قلت عن الله ما لم أقل، وتلوت عن الله ما لم أتل به عن الله ـ فحزن النبي ﷺ حزناً شديداً، وخاف من الله خوفاً عظيماً، وندم على ما جرى. فأنزل الله تعالى في سورة الحج: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ﴾[الحج: ٥٢] الآيات[1]، ولما رجع النبي ﷺ عن ذلك بعد أن وقع ذكر الغرانيق في فم كل كافر،

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ١/ ١٧٤.

وأخرجه الطبراني في «الكبير» (١٢٤٥٠) عن ابن عباس، وأخرجه ـ أيضاً ـ الطبراني (٨٣١٦) عن عروة

عادوا إلى أشَرٍّ مما كانوا عليه، وازدادوا شدة على من أسلم، وكان قد سمع من هاجر إلى الحبشة بأن قريشاً قد صافَوا رسول الله ﷺ، فرجعوا إلى مكة، فلما قربوا منها، بلغَهم ما جرى فوقفوا عن الدخول، ثم دخل كل رجل منهم في جوار رجل من قريش.

فدخل عثمان بن عفان رضي الله عنه في جوار أبي أُحَيحةَ سعيد بن العاص بن أمية، فكان يأتي رسول الله ﷺ في طرفي النهار آمناً.

ودخل أبو حذيفة بن عتبة في جوار أبيه.

ودخل مصعب بن عمير في جوار النَّضر بن الحارث بن كَلَدَةَ، ويقال: في جوار أبي عزيز بن عمير أخيه، ودخل الزبير بن العوام رضي الله عنه في جوار زَمْعَة بن الأسود.

ودخل عثمان بن مظعون في جوار الوليد بن المغيرة، ثم رد عليه جواره ورضي بجوار الله لَمَّا رأى ما فيه أصحاب رسول الله ﷺ من البلاء، قال: والله إن غُدوي ورواحي آمناً في جوار رجل من المشركين، وأصحابي يلقون من البلاء ما لا يصيبني مثله لنقصٌ كثير في نفسي، ذمة الله أعز وأمنع. ودخل سهيل بن بيضاء في جوار رجل من عشيرته من بني فهر، وقيل: دخل مستخفياً بغير جوار حتى هاجر الثانية.

ودخل عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه في جوار الأسود بن عبد يغوث، وقيل: دخل بغير جوار.

وعبد الله بن مسعود فدخل بغير جوار، والأشهر أنه ما دخل مكة ورجع إلى الحبشة.

فصل في الهجرة الثانية إلى الحبشة:

قالت أم سلمة رضي الله عنها: لما قدم أصحاب رسول الله ﷺ من الحبشة في الهجرة [الأولى إلى مكة]، اشتد عليهم قومهم، وسطت بهم عشائرهم، ولقوا منهم أذىً شديداً، فأذن لهم رسول الله ﷺ في الهجرة إلى الحبشة مرة ثانية، فقال له عثمان بن

= مرسلاً. وأخرجه البيهقي في «الدلائل» ٢/ ٢٨٥ بسنده إلى موسى بن عقبة في كتابه «المغازي» مرسلاً، وانظر كلام القاضي عياض على هذه القصة في «الشفا» ٢/ ٧٥٠ ، وقال ابن كثير في «تفسيره» ٣/ ٢٣٠ ذكر كثير من المفسرين قصة الغرانيق، ولكنها من طرق مرسلة، لم أرها مسندة من وجه صحيح.

عفان ﷺ: يا رسول الله، فهجرتنا الأولى وهذه الآخرة إلى الحبشة ولست معنا ـ يعني ما حكمها ـ؟ فقال: أنتم مهاجرون إلى الله وإليَّ[١]. فخرج منهم خلق كثير واختلفوا فيهم، فقال ابن سعد: كانوا ثلاثةً وثمانين رجلاً وثمانيَ نسوة[٢]. وقيل: وإحدى عشرة امرأة. وقال الهيثم: كانوا مئة وثمانية، وقيل: وعشرة منهم عشر نسوة.

فصل في ذكر من ولد بالحبشة من المسلمين:

قال علماء السير: ولد بها: عبدالله، وعون، ومحمد ـ وفي رواية: ومعين ـ، أولاد جعفر بن أبي طالب ﷺ من أسماءَ بنت عُمَيْس[٣].

وسعيد، وآمنة ابنا خالد بن سعيد بن العاص. وعبد الله بن المطلب[٤].ومحمد بن حاطب. ومحمد بن أبي حذيفة. وزينب بنت أبي سلمة[٥]. وموسى، وعائشة، وزينب أولاد الحارث بن خالد التيمي.

هؤلاء سوى من خرج بهم أهلوهم من مكة صغاراً، أقاموا بالحبشة من سنة خمس من النبوة إلى سنة سبع من الهجرة، فلما بلغهم مهاجرة النبي ﷺ إلى المدينة، رجع منهم ثلاثة وثلاثون رجلاً وثماني نسوة يريدون مكة، فمات منهم رجلان بمكة، وحبس منهم سبعة، وشهد منهم بدراً أربعة وعشرون.

فلما كان في سنة سبع من الهجرة كتب رسول الله ﷺ إلى النجاشي يدعوه إلى الإسلام، وأن يبعث إليه بجعفر ومن معه ـــ أو عنده ـــ من المسلمين إلى المدينة، وأن يزوجه أم حبيبة. وكان النبي ﷺ محاصر خيبر، فأسلم النجاشي، وزَوَّجه أم حبيبة، وجهز إليه جعفراً وأصحابه ـ ﷺ ـ[٦].

---

(١) انظر «الطبقات الكبرى» ١/ ١٧٦ .

(٢) جاء في «الطبقات» ١/ ١٧٦-١٧٧ : وكان عدة من خرج في هذه الهجرة من الرجال ثلاثة وثمانون رجلاً، ومن النساء إحدى عشرة امرأة قرشية، وسبع غرائب.

(٣) انظر «نسب قريش» ص٨٠ ، «وطبقات» ابن سعد ٤/ ٣١، وليس فيها ذكر لمعين.

(٤) هو المطلب بن أزهر.

(٥) في (ك): «سلمى» وفي (خ): «مطحى»، والمثبت من المنتظم ٢/ ٣٧٧، وانظر «الإصابة» ٤/ ٣١٧ .

(٦) انظر «الطبقات الكبرى» ١/ ١٧٧ ، وانظر نص كتاب رسول الله ﷺ عند البيهقي في «الدلائل» ٢/ ٣٠٨ ،

فصل في صبر رسول الله ﷺ على أذى الكفار:

لما أمر النبي ﷺ أصحابه بالهجرة إلى الحبشة، ومنعه الله بعمه أبي طالب، ورأت قريش أنهم لا سبيل لهم عليه، قذفوه بأنواع العيوب، فقالوا: ساحر، كاهن، شاعر، كذاب، مجنون، وبالغوا في أذاه. فرد الله تعالى عليهم وكذَّبَهم، وأنزل في ذلك آيات(١).

قال ابن مسعود: بينا النبي ﷺ يصلي عند البيت، وأبو جهل بن هشام وأصحاب له جلوس، وقد نُحرت جزورٌ بالأمس، فقال أبو جهل: أيكم يقوم إلى سَلَى جزور بني فلان فيأخذه، فيضعه بين كتفي محمد إذا سجد. فانبعث أشقى القوم وأخذه، فألقاه على ظهر رسول الله ﷺ وهو ساجد، واستضحكوا وجعل بعضهم يميل إلى بعض، وأنا قائم أنظر إليه، ولو كانت لي منعة، طرحته عن ظهره، وهو ساجد ما يرفع رأسه حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة فجاءت وهي جُوَيرية فطرحته عن ظهره، ثم أقبلت عليهم تَسُبُّهم، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته، رفع يديه فدعا عليهم ـ وكان إذا دعا دعا ثلاثاً، وإذا سأل سأل ثلاثاً ـ، ثم قال: «اللَّهمَّ عَليكَ بقُرَيشٍ» ثلاثاً. فلما سمعوا صوته، ذهب عنهم الضحك وخافوا دعوته، ثم قال: «اللَّهمَّ عَليكَ بأبي جَهْل، وعُتْبَة وشَيْبَة ابْنَي رَبِيْعَة، والوَليدِ بن عُتْبَة، وأميَّةَ بنِ خَلَف، وعُقْبَة بن أبي مُعَيْط. ـ وذكر السابع: عُمارة بنِ الوَليد»(٢).

والسَّلى: الوعاء الذي يكون فيه الولدُ إذا وضع من الناقة. فأما في الجزور فما في بطنه. وأشقى القوم: عقبة بن أبي معيط.

= وقال الحافظ ابن كثير في «البداية» ٣/ ٨٠-٨١ : هكذا ذكره البيهقي بعد قصة الهجرة وفي ذكره هاهنا نظر، فإن الظاهر أن هذا الكتاب إنما هو إلى النجاشي الذي كان بعد المسلم صاحب جعفر وأصحابه، وذلك حين كتب إلى ملوك الأرض يدعوهم إلى الله عز وجل قبيل الفتح، ويؤيده ما أخرجه مسلم (١٧٧٤) من حديث أنس رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ كتب إلى كسرى، وإلى قيصر، وإلى النجاشي، وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله تعالى وليس بالنجاشي الذي صلى عليه النبي ﷺ ، لكن ذكر ابن حجر في «الفتح» ٨/ ٤٧٣ أن النبي ﷺ كاتب النجاشي الذي أسلم وصلى عليه لما مات، ثم كاتب النجاشي الذي ولي بعده وكان كافراً.

(١) انظر «المنتظم» ٢/ ٣٧٨ .

(٢) أخرجه البخاري (٥٢٠)، ومسلم (١٧٩٤).

فوالذي بعث محمداً ﷺ لقد رأيت الذي سَمّى صَرْعى، ثم سُحِبوا إلى قليب بدر قد غَيَّرتهم الشمس، وكان يوماً حاراً[١].

وخرج رسول الله ﷺ يوماً فلقيه أبو البَخْتَري فأنكر وجهه، فسأله عن حاله فأخبره، وكان بيده سوط، فأتى أبا جهل فعلاه به، فسار بنو مخزوم وبنو أسد بن عبد العزى، فقال أبو جهل: ويلكم، كفوا فإنما يريد محمدٌ أن يوقع بينكم العداوة[٢].

فقال رسول الله ﷺ لعقبة بن أبي معيط: يا ابن أبان، ما أنت بمقصر عمّا أرى؟ فقال عقبة: لا، حتى تدع ما أنت عليه. فقال رسول الله ﷺ: والله لتنتهين أو لتحلَّنَّ بك قارعة.

قال أبو جهل: والله لئن رأيت محمداً يصلي لَأَطَأَنَّ رقبته. فبلغه أنه يصلي، فجاءه وقال: ألم أنهك عن الصلاة؟ فانتهره رسول الله ﷺ، فقال: أتنهرني وأنا أعز أهل البطحاء؟ فقال له العباس ـ وكان قريباً منه ـ: كذبت. فنزل قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾[٣] [العلق: ٩-١٠].

قال عبد الله بن عَمْرو: بينا النبي ﷺ بفناء الكعبة، إذ أقبل عُقْبَةُ بن أبي مُعَيْط فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ، ولوى ثوبه في عنقه فخنقه به خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر رضي الله عنه. فأخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله ﷺ، وقال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾[٤][غافر: ٢٨] وفي رواية: أقبلوا على أبي بكر فجعلوا شعره خُصلاً وهو يقول: تباركت يا ذا الجلال والإكرام، وفي ضمنه: كيف تسلط عدوك على وليك[٥]؟.

وقال ابن عباس: اجتمع القوم في الحِجْر، فتعاهدوا على قتل رسول الله ﷺ،

(١) مسلم (١٧٩٤)(١١٠).

(٢) أخرجه البزار في «مسنده»(١٨٥٣)، والطبراني في «الأوسط»(٧٦٦) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الواحدي في «أسباب النزول» ص٤٩٣-٤٩٤ من حديث ابن عباس، وأخرجه مسلم (٢٧٩٧) من حديث أبي هريرة بغير هذا السياق.

(٤) أخرجه البخاري (٤٨١٥).

(٥) لم نقف عليها.

فجاءت فاطمة ابنته تبكي حتى دخلت عليه فأخبرته، فقام وتوضأ ودخل المسجد، فأخذ قبضة من تراب فحصبهم، وقال: شاهت الوجوه. فما أصابت رجلاً منهم حصاة إلا قتل يوم بدر كافراً[١].

وكان أبو إهاب بن عزيز التميمي قد عزم على الفتك برسول الله ﷺ، وعلم به طُلَيب، فضربه بلَحْي جملٍ فشجه، فأُخبرت أمُّه أروى بنت عبد المطلب، فقالت: نِعْمَ ما فعل طُلَيب، محمد ابن خاله. فهو أولى به وأحق من دافع عنه، ثم قالت[٢]:

إن طـلـيـبـاً نَـصـر ابـنَ خـالِـه

آسَـاه فـي ذي دَمِـه ومَـالِـه

وأسلم طليب في دار الأرقم بن أبي الأرقم، وهاجر إلى الحبشة، ولما أسلم دخل على أمه أروى، فقال: يا أماه، أسلمت لله رب العالمين، واتبعت محمداً. فقالت: إن أحق من وازرت وعاضدت ابن خالك، والله لو كنا نقدر على ما يقدر عليه الرجال لمنعناه وذببنا عنه. فقال لها: ما يمنعك أن تسلمي وتتبعيه، فقد أسلم أخوك حمزة؟ فقالت: أَنْظر ما تصنع أخواتي، أكون واحدة منهن[٣].

ذكر أسامي الذين أظهروا العداوة لرسول الله ﷺ:

أبو لهب عمه، أبو جهل، الأسود بن عبد يَغُوث، عُقْبة بن أبي مُعَيْط، الحكم بن أبي العاص، الحارث بن قيس بن عدي وهو ابن الغَيْطلة، شيبة وعتبة ابنا ربيعة، أبو سفيان بن حرب، الوليد بن المغيرة، أُبي وأمية ابنا خلف، العاص بن وائل السَّهمي، النَّضْر بن الحارث، العاص بن هشام، وهؤلاء كانوا جيرانه، وكانوا أشد الناس عليه[٤].

وأما من قريش فخلق كثير.

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٧٦٢).

(٢) انظر «أنساب الأشراف» ص٢٥٧ ، و«تاريخ ابن عساكر» ٢٥/ ١٤٢ .

(٣) انظر «الطبقات الكبرى» ٣/ ١١٤ .

(٤) انظر «الطبقات الكبرى» ١/ ١٧٠ .

وفيها استتر رسول الله ﷺ في دار الأرقم بن أبي الأرقم، وتسمى الدار: دار الخَيْزُرَان[١].

وفيها: بعثت قريش عمرو بن العاص وعبدالله بن أبي ربيعة إلى النجاشي بهدايا يطلبون منه أن يسلِّم إليهم من عنده من المسلمين المهاجرين.

فصل وفيها استشهدت

سُمَيَّةُ بِنْتُ خُبَّاط[٢]

أم عمار بن ياسر، مولاة أبي حُذيفة بن المغيرة، أسلمت بمكةَ قديماً، وكانت مِمَّن يُعذَّب في الله لترجع عن دينها، فما رجعت. وهي أول شهيدة في الإسلام، مر بها أبو جهل بن هشام وهي تعذب في الله تعالى، فطعنها في قُبُلِها بحربة فماتت[٣].

(١) انظر «أخبار مكة» للفاكهي ٣/ ٣٣٠ ، و«المنتظم» ٢/ ٣٨٠ ، وعرفت بهذا الاسم عندما وهبها المهدي لامرأته الخيزران أم هارون الرشيد، فبنتها وجددتها فعرفت بها، كما سيذكره المصنف سنة ٥٥ في ترجمة الأرقم، وانظر «المنتظم» ٥/ ٢٨٠ ، و«البداية والنهاية» ٨/ ٧٤ .

(٢) ضبطها السمعاني في «الأنساب» ٢/ ٣١٦ بفتح الخاء وتشديد الباء، وضبطها ابن حجر في «الإصابة» ٤/ ٣٣٤ بضم الخاء وفتح الباء المشددة.

(٣) انظر «الطبقات الكبرى» ١٠/ ٢٥١ ، و«المنتظم» ٢/ ٣٨٤ .